



البناء العلمي

عمدة الفقه (3) في سؤال وجواب

الفصل الدراسي الثالث
د. عبد الله بن منصور الغضلي

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

ما هو فضل طلب العلم؟

- لا شك أن من منن الله جلَّ وعلاً العظمى، وآلائه الكبرى أن يوفق عبده لسلوك طريق العلم، فالعلماء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم هم «ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب».
- يقول ابن القيم: ورثة كل أحدٍ هم أقرب الناس إليه، فأَيُّ شرفٍ أعظم من أن يكون العالم وطالب العلم هو أقرب الناس إلى الأنبياء، وهم حملة الوحي، وأي شرفٍ أكبر من تكون أنت ممن ينشر هذا الوحي والنور بين الناس.
- ولذلك اختص الله جلَّ وعلاً الخشية بمن كان عالماً به، كما قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].
- وبَيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن إرادة الخير إنما تكون فيمن فقهه ربه بدينه كما قال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، ومفهومه أن من لم يتفقه في دين الله لم يُرد به خير.
- أهل العلم أحياءٌ يعلمهم، أحياءٌ بذكرهم، أحياءٌ يهديهم، أحياءٌ بسنتهم، ما أجمل تلك الحياة ، نسأل الله جلَّ وعلاً أن نكون من أهلها، هي الحياة الحقّة، عندما تكون لله، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162، 163].
- وإن من أوجب ما يجب على المرء وهو يتلمس هذا الطريق، طريقَ العلم، أن يُخلص النية لله.
- هنيئاً لمن أخلص نيته في طلب العلم، هنيئاً له والله وكيف لا يهنأ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة».
- وتأمّل يا رعاك الله أن تسهيل طريق الجنة لم يُقيد بتحصيل العلم، وإنما قُيِّد بسلوك طريقه.

ما هي مميزات لقاب عمدة الفقه؟

- وهذا الكتاب عمدة الفقه من المختصرات المباركة، التي ألفها مؤلفها للمبتدئين في تعلُّم الفقه، وهو في حقيقة الأمر كتابٌ يجمع بين كونه مختصراً وفي الوقت نفسه فيه نوعٌ من التفصيل والاستدلال كأحسن ما أنت راءٍ في المتون الفقهية.
- ولذلك كان من ميزات هذا الكتاب سهولته، ووضوح عبارته، وتصدير مؤلفه لفصوله بأيةٍ أو دليلٍ من الكتاب أو السنة ، ثم يقوم رحمه الله باستنباط الحكم منها على وفق المذهب، باستنباط المذهب من هذا الدليل، وفي هذا، الحقيقة فائدتان:
- ❖ **الفائدة الأولى:** تربية المتفقه على العناية بالنصوص الشرعية.
- ❖ **الفائدة الثانية:** تدريبه على استنباط الحكم من تلك النصوص.

من هو مؤلف لقاب عمدة الفقه؟

- فهو كتابٌ للموفق أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعلي الدمشقي الصالحي الحنبلي ، وهو من سادة الفقهاء الحنابلة وأئمتهم في زمانه.
- توفي رحمه الله أعني الموفق أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي عام ستمائة وعشرين، وخلف تركةً علميةً عظيمةً.

← ما هي كتب المؤلف؟

- ١) المغني وهذا الكتاب العظيم المغني، قد جمع المذاهب الأربعة. واعتنى بتحرير مذاهب الفقهاء، حتى لربما عرفت المذهب فيه في بعض الأحوال أوضح مما ذكر في كتب المذهب نفسه.
- ٢) ومن كتبه أيضًا الكافي وهو أخصر من المغني، لأن المغني في الفقه المقارن على المذاهب الأربعة، بينما الكافي روايتان في المذهب، ثم أخصر منه المقنع.
- ٣) وله كتب في الاعتقاد وفي النسب وأيضًا كتب في الأصول والحديث، له روضة الناظر المشهورة في الأصول، وله أيضًا مختصر العلل في الحديث، وله كتب أخرى أيضًا في التزكية والرقائق.

← ما هي شروح العمدة؟

- ١) من أشهر وأول هذه الشروح، العدة لهاء الدين المقدسي، والعدة هو أول شروحه، وهو مطبوع طبعات كثيرة.
- ٢) شرح للعمدة لعلاء الدين البغدادي،
- ٣) شرح آخر لابن عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي كذلك،
- ٤) شروح معاصرة من أوسعها شرح الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، وقد عني بالمسائل المعاصرة حتى حوى قرابة الألف مسألة من تلك المسائل.
- ٥) وقد نظم أيضًا هذا الكتاب العمدة بمنظومات من أشهرها منظومة صالح الهوتي التي نظم فيها عمدة الفقه، وله حواشي وقد اشتغل الفقهاء المتقدمون والمعاصرون في هذا الكتاب، ولعله والله أعلم بنية صاحبه، وجودة أيضًا مؤلفه.

← البيوع هي أهم العقود وأساسها، بين ذلك؟

- البيوع هي أهم العقود وأساسها، وترجع إليها كثير من تعاملات الناس، فالحاجة إليها شديدة، ومسائلها كثيرة، ومتجددة، ومتنوعة، وتحتاج إلى بيان الحكم الشرعي.
- عقد البيع، هو من عقود المعاوضات؛ لأن العقود إما أن تكون معاوضات أو تبرعات، والمعاوضات تقوم على بذل العوض، بينما عقود التبرعات في حقيقة الأمر تخلو من ذلك، يعني تكون المبدالة فيها أو يكون العطاء فيها بلا عوض، ولذلك تعتبر الهبة والهدية من عقود التبرعات لا المعاوضات.
- العقود إنما تدور صحة وبطلانًا، جوازًا وتحريمًا على تحقيق العدل ونفي الظلم، فأينما كان العدل فثم العقد مشروع، وحيثما وقع الظلم فثم الممنوع.
- وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ فيه الإشارة إلى الأصل في البيوع المشروعة، ذلك أن شرط الرضا هو أعظم الشروط في البيع، وعليه تدور شروط صحة البيع، ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «إنما البيع عن تراضي»، فمتى كان التراضي كان العدل، ومتى كان التراضي انتفى الظلم.
- ولذلك كانت العناية بهذا المعنى العظيم، وهو معنى العدل في المعاملات، من أمثل ما يعين الدارس على معرفة أحكام البيوع، وقد قال جل من قائل عليًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ [النساء: 135]، فالأمر بالعدل لأجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وما أحكام البيوعات إلا فرع عن هذا الأصل، ولذلك كان أعظم العدل هو توحيد الله -جل وعلا-، وأعظم الظلم هو الشرك، ومنه قوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]، فكان الطالب الموفق، والطالبة الموفقة، كانت عنايتهم بمثل هذه القواعد والأصول، سببًا في نيلهم -بإذن الله تعالى- للأحكام، وجمعهم للمسائل، أحسن من غيرهم.
- ومن الأشياء التي جاءت مكرسة لهذا الأصل، مؤكدة عليه، حديث أبي بكر في الصحيح، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»، وهذا يدل على أن أكل المال بالباطل، وهو أوضح صور الظلم، مما حرّمته

الشريعة وأكدت عليه، أكدت على تحريمه، وحذرت من الوقوع فيه، ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في الحديث الآخر: «**كل المسلم على المسلم حرامٌ، دمه وماله وعرضه**»، وهذا الحقيقة يؤكد علينا أهمية توقي الوقوع في المحرمات، بل والشبهات، كما جاء في حديث النعمان: «**من اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه**»، ومسئولية طلاب العلم، ومسئولية من يدرس هذا الكتاب، ويتعلم البيوع، أن يشيع هذه الأحكام الشرعية، وأن يعلم الناس الحلال ويحذرهم من الحرام. والحقيقة ثم تقصير في هذا الجانب، نقولها بوضوح، نصراح أنفسنا بذلك، والناس بحاجة إلى ذلك، فالله الله يا طلاب العلم، ويا طالباته، الله الله، يا من درستم الفقه، وتعلمتم الأحكام، الله الله، يا من مررتم ووقفتم وفهمتم كتاب البيوع، علموه لمن وراءكم، فحاجتهم لمثل هذه الأحكام أشد والله من حاجتهم إلى الطعام والشراب، لأن الطعام والشراب به قوام أجسادهم، لكن الحكم الشرعي به قوام أرواحهم، وشتان بين الروح والجسد، وهل يُراد من الجسد إلا الروح، نسأل الله -جلَّ وعلا- أرواحًا زاكية، وعلوًا نافعة.

ما هي صور الظلم في البيوع؟

- من صور الظلم في البيوع، التي جاءت أيضًا الشريعة بالتحذير منها، ما يكون من اقتطاع المسلم مال غيره، ومن ذلك ما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من قوله: «**من ظلم**» لاحظ التعبير «**من ظلم قيد شبرٍ من الأرض**» فعبر عن اغتصاب مال الغير، وأخذه بغير وجه حقٍ، سواءً كانت أرضًا، أو كانت غير ذلك من الأموال التي لا تختص بك ولا تملكها، عبر عنها عبر عنها بالظلم.
- من صور الظلم في البيوع: الغش الذي يكون للأسف في بعض البيوعات، التي تقع سواءً كانت البيوعات هذه مثل ما يحصل في بيع السيارات، أو الجوالات، أو الأطعمة، والمصنوعات، أو غير ذلك من أنواع البضائع والمبيعات.
- الغرر هو نوع من الظلم من جهة أن الغاريبيع شيئًا لا يُدرى ما هو، فالغرر هو المجهول العاقبة، أو المستور العاقبة، مثل من يبيع مثلاً سيارته المسروقة، أو يبيع شيئًا لديه مجهولًا، ما يعرف هو مقداره ولا قيمته.
- أكثر أسباب المنع في البيع هو الغرر، يمكنني أن أقول بهذا الإطلاق، من أكثر أسباب المنع والتحرير والبطالان في البيوعات ما يكون بسبب الغرر.

ما هي ضوابط الغرر؟

- **الأول: أن يكون كثيرًا**، فالغرر اليسير متفقٌ على عدم تأثيره، وهذا محل إجماع، نقله النووي، وابن قدامة، وابن المنذر.
- **الثاني: فهو أن يكون الغرر أصلًا في العقد لا تابعًا**، بمعنى أن يُبنى العقد على الغرر.
- الدليل على هذا، ومنه يتبين أيضًا المعنى، قول النبي -صلى الله عليه وسلم: «**من باع نخلاً قد أُبرِثَ فثمرتها للبائع إلا أن يشترط المبتاع**»، وجه الدلالة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، نهى البائع والمبتاع، لماذا؟ كان هذا لأن بيع الثمار قبل بدو صلاح من قبيل الغرر، أنت ما تدري، انظر الضابط الذي قلناه في الغرر، مجهول العاقبة، ما تدري عاقبة هذه الثمرة ما تكون، هل هي صالحة أم فاسدة، أليس كذلك؟
- فهذا دالٌّ على النهي عن بيع الغرر، لكنه في هذا الحديث قال: «**من باع نخلاً قد أُبرِثَ فثمرتها للبائع إلا أن يشترط المبتاع**».
- لو أن المبتاع الذي اشترى هذه النخلة، اشترط مع شرائه هذا الثمر، مع أن الثمر هذا قد أُبرِثَ ولم يبدو صلاحه.. التلقيح، مع ذلك هذا جائزٌ، لماذا؟ لأن هذا الثمر، وهو بيع غررٍ وقع تبعًا، الأصل شراء النخلة.
- **الثالث: أن لا يكون الغرر مما تدعو إليه الحاجة العامة**، إذا دعت إليه الحاجة العامة، فإنه عندئذٍ يجوز لهذه الحاجة، فالحاجة العامة تنزل منزلة الضرورة.

وصلى الله على نبيينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.